

## سنان أنطون: سيرة «التغريبة العراقية» ما بعد 2003 \*



وبمطلق التوصيف، فإن أنطون يُقدّم «تغريبة عراقية» بسياقها الزمني أو بثنقلاتها المكانية أو بكشوفاتها للمكونات الاجتماعية عبر تقديم العوالم الخاصة الغامضة ببراعة العارف المُنصف.

دوماً يقدم أنطون معادلة إنسان «هامش/ هامش الإنسان. لم يقدم بطلاً عنيداً صليباً أو مختلقاً على مقياس رغبة كل كاتب أن يباشر حياة موازية يتمناها عبر بطله. كل شخصيه ببراعة اللغة التي تستثمر طاقها الحسية، تُقدم ذاتها المجزأة بصوتها العالي أو يخالوفها الدفينة. وحتى الفعالية الأدبية الالامعة (الجنس)، يضعها أنطون في سياقها أو (إعجام) حفریات العثور على الذات وإعادة اكتشافها. بدعاً من «إعجام» وحتىّ «فهرس»، يمثّن أنطون شهادته عن المأساة العراقية، كشاهد حريص لا يسنس التفاصيل المرهقة التي تعذب الضحايا حتى بعد أن يموتوا وتظلّ عيونهم مندلعة تروي قساوة التجربة.

### فلاش

في العالم الحديث الذي يتحكّم فيه النظام (System) والحرب والاعتراب، يذكر أنّ حسن م. عبدالله هو أيضاً رئيس القسم الثقافي في قناة «البيدين»، صدر له ديوانان هما «صور الوله» عام 2003، و«مولانا الغرام» عام 2015.

■ تحضن Artual Gallery معرضاً بعنوان «الف ليلة وليلة» (تنسيق ماريا بريتو) الذي يجمع تولت تعريب الترجمة والناشرة الألمانّيّة م. عبدالله مترجماً إلى اللغة الألمانّيّة. وقد تولت تعريب الترجمة والناشرة الألمانّيّة كوروتيليا تسيرات

والمترجم والناشر اللبناني- الألمانيّ سرجون كرم. أمّا صورة الغلاف «الأريغامي»، فقد أعدها للنشر ابنة الشاعر سعاد حسن عبدالله.

صدر الديوان باللغتين العربيّة والألمانّيّة ويضمّن سبعاً وخمسين قصيدة مهداة «إلى من بقي في هذا الشرق»، وجاء في تعريف الناشرين بالديوان:

يعدّ حسن م. عبدالله من الشعراء اللبنانيين الحديثين المتميّزين بكتابة النضّ الشعريّ القصير والمكثّف والدقيق في التعبير. إنّ قصيدة حسن م. عبدالله الاجتماعيّة والسياسيّة الناقدة تصوّر، من وجهة نظر المراقب، شخصيّة الإنسان في وحدته وكيّفته

بتداعي خلف أسوار شرسة: «هي في الخندق المعادي – ريم – ويغداد (...) الآن صارت سجوناً متلاصقة تحرسها الميليشيات/ ص 80»، ويضى حتى يستحيل «البياض» مطابقاً لـ «السواد»: «البياض يغطي كل شيء، البياض الصامت/ ص 81».

يفتح سنان أنطون روايته «فهرس» بتعليق يُنسب لـ «المرزباني» الذي ترجم سيرة ابن الدليم البغدادي (ت 1047م) تعليقا على كتابه «الفهرست» أنّه «...سوتن على بياضات كثيرة». «فهرست»، ابن الدليم البغدادي هو الأرشيف الموثوق لكل «ما صدر في اللغات والكتب المقدسة وعلوم القرآن، اللغة والنحو، الأخبار والأنساب، الشعر، علم الكلام، الحديث والفقه، الفلسفات، الأسماء والخرافات، الاعتقادات، الكيمياء أو الصنعة، في زمانه».

يتداخل شيء من الشخصي في رواية «فهرس» مع شخصية «فهر» المرهق بالتاريخ واللحظة التي تصنع الحاضر المُقنن، ويتداخل مع شخصية الخليفة، راو عليم متخفّ كأنه ضمير يطلع فجأة، ليسرد مقاربة تمدّ الجذور عميقاً من تغريبة الآن مع تغريبة الماضي. «... لا أعرف ما الذي دهاني ووافقت وذهبت إلى بغداد بعد كل تلك السنّين؟ / ص 27».

بلحظة ما، يتطلع القارئ بسيرة شخصية غير معلنة، وأخرى المبرع الذي يعمل غامساً للأموال، وما بينهما تُقيم المنطقة الرمادية. كلا الدائرتين المتداخلتين، هما المصير العراقي الذي خلطه عظامه في زمن أسود. لحظة خاطفة يبدأ كل ذلك السواد يتهمّم كأنه فئات كونكريتي هائل: «احسست بالرمل تحت قدمي بريح باردة يعض الشيء/ص 7».

سواد «الإنتماء» وجنحت إلى «بياض»، هي القوة الاجتماعية التي أراد أنطون أن يفنحها كامل مشرّح وسط الاقتتال الطائفي العنيف في بغداد أعوام الدم (2006 = 2007).

\* المقال مجتزأ عن دراسة ثقافية – اجتماعية مطوّلة تركز على مجمل أعمال سنان أنطون الروائيّة

#### جوي، سليم

في تجربتها الروائية الأولى «بنّت الخُمأة» (دار هاشيت أنطون - 2018)، تخفّت لدى جمانة حداد أخيراً حدّة الصراخ «النضالي» الذي اتّسمت به أعمالها الثغرية الأخيرة. لكون العمل الجديد رواية، ولحسن الحظ، توارت قليلاً «أنا» الشاعرة والرئيسة السابقة للصفحة الثقافية في «صحيفة النهار»؛ «أنا» صارخة، طغّت على كتاباتها السابقة التي أرادتها شبيهة ببيانات رقم واحد، انطلاقاً من تجربتها والأخبار والأنساب، حول المرأة والرجل، ثمّ الإنسان ونقول «قليلاً» فقط لأنها في «بنّت الخياطة» تروي ستر أربع نساء، الأولى بينهنّ جدتها لأُمها، وإحداهنّ، حفيدة هذه الجذّة، هي شخصية متماهية إلى حدّ بعيد مع شخصية الكاتبة.

جميلة ماركاريان (أو سيرون صرافيان بحسب اسم الشخصية النضالية) عاشت عذابات التغريبة الأرمنيّة أبان أحداث المجزرة عام 1915 ثمّ قادتها حياةً تراجيدية ذات صباح إلى الانتحار في منزلها في منطقة برج حوج في بيروت عام 1978. إلى جانب سيرون، نقرأ قصص ميسان، شيرين وجميلة الصغيرة، أربع نساء من عائلة واحدة عشنّ على مدى قرن من الزمن حروباً وماسي شهدها «الشرق الأوسط الملون» كما تسميه حداد في الفصل المعنون «استطراد غير ضروري» في آخر الكتاب. في هذا الفصل، تتساءل عن نهاية حلقة العنف الدائرة في المنطقة منذ ذلك الوقت، وتعلن عدم إيمانها بفوهي الحداد والموضوعية في مقاربة تلك الصراعات، بما أن «الواقع هو وجهة نظر».

تبدو «مهوم» رواية حداد امتداداً لتلك الواردة في كتاب «الجنس الثالث» (دار هاشيت أنطون - 2015)، حيث تصبو الكاتبة إلى «إنسان جديد» يكون بعيداً عن العنف والتعصب والطائفة والتمييز الجنسي. تسرد الكاتبة في روايتها فصلاً من هذا العنف الذي تنبّه، كما تبدو راغبة في تحميل رواية نساء أسرتها أبعاداً سياسية، بما أن الأحداث التاريخية التي أتقلت أرواح هؤلاء، سياسية

من فوق حول «قدر هذه المنطقة»، والصراعات الدموية التي لا تنتهي من منطلق شعاع «بيكفيّ بغي» العزيز على قلب جمعيات المجتمع المدني التي تنشط حداد مع فعالبياته. مستهلّ الرواية: «حسناً أيها النسويّ لقد هزمتني/ ولكنني لا أجد في كل هذا الشوق/ مكاناً مرتفعاً/ أنصب عليه راية استسلامي». يوجّز الزاوية التي تعالج الكاتبة غيرها الصراعات والأزمات التي غلّغت حيوات شخصياتها.

تدور السياسة في الرواية، إن جاز التعبير، فقرأها في الفصل الثاني المخصّص لشيرين، حفيدة سيرون، الذي حمل عنوان «100 عام على تصريح بلفور 70 عاماً على قرار تقسيم فلسطين»، هدف إلى إعادة فهم الواقع اليوم، والسياسات التي تحمكه وتؤثر فيه، وما إذا كان هناك من ربط ما بين الأمس واليوم، في ما خضّ قضية فلسطين وتقسيها. ضمّ المؤتمر خمسة محاور، من ضمنها قضية فلسطين والقانون الدولي و«الشريعة الدولية»، ومسؤولية بريطانيا عن المأساة الفلسطينية، والصهيونية وعلاقتها بالاستعمار. الكتاب تضمّن أيضاً، ورقة بحثية قدمتها بيان نويهض الحوت بعنوان: «وليد الخالدي والتاريخ للعبكة».

في القرن العشرين، وعن نظرتة إلى وارهول الرويوي الذي يزداد راهنية في عصر السوشال ميديا، الأخرى في لبنان، بطرح أسئلة كبيرة

#### نقد

«بنّت الخياطة» خضت صراخها «النضالي»

# جمانة حداد لم تقتك شهرزاد



يحمل اسم «عودة ليليت» (دار النهار 2006). فليليت التي ورد ذكرها بداية في ميخولولجيا بلاد ما بين النهرين وفي التلمود، هي المرأة الأولى التي خلّقها طاعة الرجل وتهرب إلى أقاصي الأرض... عندئذ خلق الله حواء من ضلع الرجل. لطالما صرّحت حداد أو أوحّت بالنهاهي مع شخصية ليليت الأسطورية، لتعلن نفسها «المثال المتمرّد على نموذج «حواء» تلك. في عملها الجديد أيضاً، ذكّرت ليليت على لسان إحدى الشخصيات، في معرض التعبير عن الإعجاب بها، كما ظلّ طيف الأسطورة حاضراً، وإن بعيداً عن سير البطلات. كما اختارت حداد في الفصول الأربعة من الرواية، أن تدخل إلى جانب السرد، مذكرات الشخصيات، تتحدّث فيها بضمير المتكلم، بأسلوب شبيه بأسلوب كتابة العهد القديم: «أنا سيرون صرافيان، وكيلة اللد في الصحراء السورية (...)»، «أنا شيرين الأرمنية، حفيدة سيرون، عشيقة جدل أزارات، اختار ما أشاء من أرني المالموم لتكتنم جياتني الفاغرة أفواهما على العدم...».

تبرز هنا إشكالية قديمة في الفكر النسوي وهي أسطورة المرأة والتأثير السلبي لذلك على المرأة وقضاياها. ليليت قتلت شهرزاد في مخيلة حداد، امرأة ضعيفة ماتت على أيدي امرأة قوية. حداد قتلت ربما محتوى تلك الشخصية، إلا أنها لم تقتل مفهوم المرأة الأسطورية نفسها، قوية أو ضعيفة، مجددة أو مهانة، قليلاً ما تسهم أسطورة المرأة في أي تفكير نسوي، في عقل حداد، شهرزاد «قصص» بحسب اسم عملها الآخر أيضاً، أما ليليت برأيها، فهي تقبض ذلك القفص، ليليت في البراح المطلق، قبل 70 عاماً بالتمام، خصّصت الفيلسوفة الفرنسية سيمون ديوفوار فصلاً من الجزء الأول من كتابها «الجنس الآخر» (1949)، لئلاسطيح التي كرّست التمييز بحق المرأة. أوردت في هذا الفصل أمثلة عديدة من تاريخ الأدب ونظرة على الأدباء الرواية إلى المرأة، من أكثرهم ميوزوجينية إلى أكثرهم «نسوية»، في المجال الأخير، أعطت الكاتبة مثال المرأة في قصائد أندريه بروتون.

شيرين «تلك التي عيناها توقفتان الرعد من كيوته»، ميسان «تلك التي خاضت بذراعيعها مليون معركة»، الرجل من نوم المولوية (Immanence)، جميلة «تلك التي قهرت النهاية وبيدائياتها»، بالطبع إن كل واحدة شعر، إنها كل شيء»، بالنسبة ليوفوار، كان ستاندال الأديب الوحيد الذي قدّم المرأة كإنسان إلى الأدب، لا كائنٌ ضعيف ومكروه ودرجة ثانية، ولا كاستورة ومثال فوق الطبيعة. ففي الحالتين، يجري إسقاط المرأة

في الجملة الأخرى من كتابها «هكذا قتلت شهرزاد: اعترافات امرأة عربية غاضبة» (دار السافي، 2011)، أعلنت حداد اهتمام «جريمتها»، تلك مذيلة إياها بالجملة الأتنية: «أخيراً وليس آخراً، لقد قتلت شهرزاد بيد ليليت:

بذرتي وجدوري وأرضي وحقيقتي». وهذا ما يقع فيه كثيرين، رجلاً من الجريمة المصودة في النض الطويل الذي جاء رداً على سؤال لصحافية أجنبية عن «جراة حداد بين النساء المعتد، دار السافي»، مرّزت في حينه إلى القطعة مع مفهوم المرأة العربية الخاضعة التي تختال على الرجل لتحفظ حياتها. أعلنت حداد عبر اختارت حداد ملكات ورق اللعب ما هو إلا حفيد الضابط العثماني الذي قتل جدتها الأرمنية. «لكنّ الأكثر إلغائاً في شخصيات الرواية الأربع اتسهنّ كلهن «استثنائيات». في بداية كل فصل هناك أشبه بطاقة تعريف تقدم لنا الكاتبة غيرها بطلتها الجديدة. اختارت حداد ملكات ورق اللعب رموزاً لشخصياتها، ربما لكونها لم تنحّ كثيراً من فخّ الكليشيات. السوري المسيحي في الرواية من عائلة البازجي، المثقف اللبناني يسكن في الحمراء، البريطانية الوحيدة التي تعرفها هي «تلك التي لا تنفك تعود»،

حتى أن مشهد الاعتداء الجنسي على ميسان الطفلة، بنت سيرون، هو عبارة عن مقايضة رجل عجوز لمصاصة يقضييه، أمورٌ تحصلّ؟

طبعاً، لكنّ سهولتها وبيدهيتها مشغلٌ مزعجة ومفتخرة لمسئوي خياليّ ثان. بالإضافة إلى بعض المصافاة التي تنسم بالأفعال، كان تكتشف إن الشاب التركي يعمل مساعداً اجتماعياً في مخيم اللاجئين السوريين في عنتاب والذي سيبدّر

تبرز هنا إشكالية قديمة في الفكر النسوي هي أسطورة المرأة



والمترجم والناشر اللبناني- الألمانيّ سرجون كرم. أمّا صورة الغلاف «الأريغامي»، فقد أعدها للنشر ابنة الشاعر سعاد حسن عبدالله.

صدر الديوان باللغتين العربيّة والألمانّيّة ويضمّن سبعاً وخمسين قصيدة مهداة «إلى من بقي في هذا الشرق»، وجاء في تعريف الناشرين بالديوان:

<sup>[1]</sup> يمدّ حسن م. عبدالله من الشعراء اللبنانيين الحديثين المتميّزين بكتابة النضّ الشعريّ القصير والمكثّف والدقيق في التعبير

<sup>[2]</sup> إنّ قصيدة حسن م. عبدالله الاجتماعيّة والسياسيّة الناقدة تصوّر، من وجهة نظر المراقب، شخصيّة الإنسان في وحدته وكيّفته